الأمير ياروسلاف الحكيم



لافرا مغاور كييف
Киево-Печерская Лавра

ترجمها عن الروسية
عـامر هلسا

سلسلة الشهداء والمعترفون الروس ٢

الأمير ياروسلاف الحكيم وعصره

الجبل للنشر والتوزيع
التراث السلافي الأرثوذكسي

الكتاب : الأمير ياروسلاف الحكيم وعصره.
المترجم : عامر هلسا .
الناشر : الجبل للنشر والتوزيع .
الطبعة : الأولى ، ٢٠١٦.

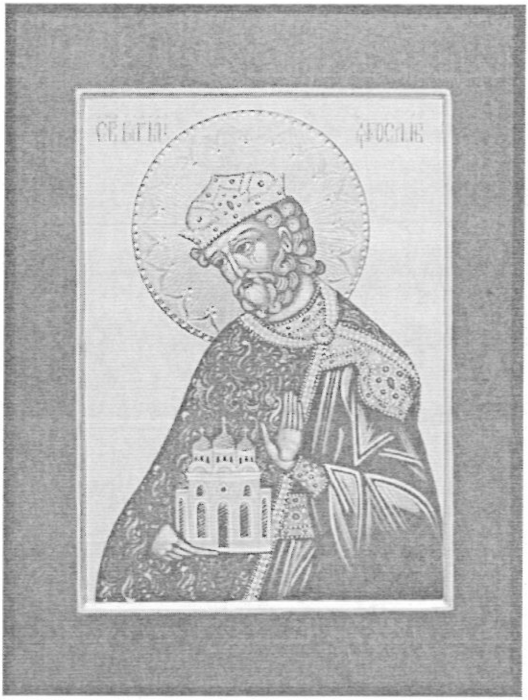
للطلب داخل جمهورية مصر العربية :
دار مجلة مرقص : ٢٨ شارع شبرا - ٢٥٧٧٠٦١٤
للطلب داخل المملكة الأردنية الهاشمية :
٠٠٩٦٢٧٩٦٥٠٠٣٣٢
للطلب داخل لبنان وسوريا والإستعلام عن اماكن التوزيع:
٠٠٩٦١٣٦٠٣٧٨٣-٠٠٢٠١٠٠٥٨٧٧٩٢٢ -٠٠٢٠١٢٧٧٣٩٧٧٧٢

الأمير ياروسلاف الحكيم وعصره

ترجمة / عامر هلسا

مراجعة : الدكتورة / يوليا بيتروفا

دليل الكتاب



الأمير ياروسلاف الحكيم

عصر ما بعد الأمير القديس فلاديمير

بعد وفاة **الأمير القديس فلاديمير** في ١٣ (٢٨) يوليو عام ١٠١٥ ورث **ابنه الأكبر سفياتوبولك** العرش. وُلد من اليونانية التي كانت في السابق زوجة **للأمير ياروبولك** أخي فلاديمير في الفترة عندما كان فلاديمير لا يزال وثنياً. كان سفياتوبولك يتميّز بطباعه السيئة وقبل موت أبيه بقليل قاد تمرّداً ضدّه. كانت له الأولوية في وراثة العرش كونه الابن الأكبر.

ولكن فلاديمير لم يكن يحبّ ابنه هذا لطباعه الغدّارة، كما لم يكن يحظى بشعبية بين الناس. لذلك كان سفياتوبولك يخاف من احتمال المنافسة على العرش، وكان يعتبر ابنيْ **فلاديمير الأصغرين بوريس وغليب** المولودين من **الأميرة البيزنطية حنة** خصمين رئيسيين له. وُلد الأميران بوريس وغليب من زواج باركته الكنيسة بعد أن صار والدهما مسيحياً، وكانت أمّهما ذات أصل إمبراطوري، ممّا كان يزيد من حق بوريس وغليب في العرش لو رغبا في هذا. ولكنهما لم يكونا يفكّران بهذه الطريقة. تقول سيرتهما إن الأخوين القديسين اعترفا بسفياتوبولك أميراً شرعياً كمسيحييْن مطيعين للقانون.

ولكن سفياتوبولك القاسي بالرغم من قبوله المعمودية كان لا يزال في داخله وثنياً ويقيس الآخرين على نفسه. كان صهراً وحليفاً لملك بولندا **بوليسلاف الأوّل**، وكانت المسيحية الغربية أقرب إلى قلبه. أمّا بوريس وغليب فهما ممثلان للمسيحية الشرقية، ولذلك فضّلا الموت على القيام ضدّ أخيهما.

كان بوريس وغليب أوّل القديسين الروس الذين تمّ إعلان قداستهم (عام ١٠٧٢). لقد اندهش الشعب بموتهما الذي قبلاه باتضاع. ارتبطت ذكراهما بالوعي المسيحي الروسي ارتباطاً عميقاً لأن موتهما كان غير اعتيادي وبعيداً كل البعد عن الأخلاق الوثنية السابقة. كان الأمراء الروس في الماضي يتحاربون من أجل العرش بغضّ النظر عن قرابة الدم بينهم، أمّا بوريس وغليب فكانا ممثلين لجيل جديد من المسيحيين في روسيا يضع في صدارة حياته المثال الإنجيلي الأعلى ويفضّل الموت الاستشهادي على الحرب مع القريب. انتشر التكريم الشعبي للقديسين بوريس وغليب في روسيا بسرعة فائقة وكان لاستشهادهما أثر كبير على تربية المسيحيين الروس.

بعد استشهاد الأميرين بوريس وغليب اندلعت الحرب على العرش، وبأمر من سفياتوبولك تم قتل الأخ الثالث سفياتوسلاف (**ولكنه لم يظهر الوداعة مثل بوريس وغليب وحاول الهروب إلى المجر حيث تم قتله**). أطلق الشعب على سفياتوبولك اسم "**اللعين**" بسبب أعماله الوحشية. في الفترة ١٠١٥- ١٠١٩ كانت الحرب بين سفياتوبولك وأخيه **ياروسلاف أمير نوفغورود** قائمة. وخرج ياروسلاف منتصراً منها وصار أميراً لكييف. أمّا خصمه المخلوع من العرش فهرب إلى الغرب ومات هناك.

وُلد **ياروسلاف** في عام ٩٧٨ أو ٩٧٩ من **الأميرة روغنيدا ابنة أمير بولوتسك**❖ وهي الزوجة الأولى للأمير فلاديمير. قبل أن يهزم أخاه سفياتوبولك عام ١٠١٦ كان أميراً لروستوف ونوفغورود. استمرّ حكم ياروسلاف ٣٧ سنة **ودخل الأمير في التاريخ كبنّاء عظيم لروسيا الكييفية**، واشتهر بتشييد الكنائس وتدبير الحياة في المدن. في عام ١٠٣٧ هزم ياروسلاف جيش قبائل البجناك❖❖ الضخم عند كييف

❖ بولوتسك – أقدم مدينة في روسيا البيضاء ومن أقدم مدن روسيا "كييف، كانت مركزاً لإمارة بولوتسك.

❖❖ البجناك – اتحاد قبائل الرحّل الذي تشكّل في القرنين الثامن والتاسع، بعد انتقالهم من آسيا إلى سهول أوروبا الشرقية. منذ أواخر القرن التاسع وحتى المعركة الحاسمة التي انهزم فيها البجناك على يد ياروسلاف الحكيم تعرّضت روسيا لغزواتهم مرّات كثيرة. كان البجناك هم الذين قتلوا سفياتوسلاف ابن الأميرة أولغا والد الأمير فلاديمير في عام ٩٧٢ عند جنادل الدنيبر وصنعوا من جمجمته كأساً بحسب عادتهم.

نهائيـاً، وتـذكـاراً لهـذا الحـدث التـاريخي أقـام **كنيسـة آيـا صوفيا في كييف** في مكان المعركة العنيفة مع البجناك.

كانت هيبة روسيا في عهد ياروسلاف عظيمة جداً، وتدلّ على هذا الأمر الزيجات السياسية التي عقدها الأمير نفسه وأبناؤه. كان ياروسلاف متزوّجاً من ابنة **الملك السويدي إنغيغيردا** التي حصلت في المعمودية على اسم **إيرينا**، وأقيمت كنيسة ضخمة في كييف على شرف شفيعتها السماوية. أمّا ياروسلاف نفسه فكان يحمل اسم **جاورجيوس** في المعمودية وكرّس لشفيعه كنيسة كبيرة أيضاً. قبلت إيرينا الرسامة الرهبانية قبل موتها باسم **حنة** ودخلت مع هذا الاسم في التقويم الكنسي. رقدت في **نوفغورود** ودُفنت في كاتدرائية آيا صوفيا التي بناها ابنها الأكبر فلاديمير الذي تم إعلان قداسته أيضاً.

كان **الأمير إيزياسلاف** الابن الثاني لياروسلاف متزوّجاً من الأميرة البولندية، أما **فسيفولود** الابن الأصغر فكان متزوّجاً من **مريم ابنة الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع مونوماخوس**، وولُد من هذا الزواج الأمير الروسي الشهير

فلاديمير مونوماخوس. أصبحت بنات ياروسلاف زوجات لحكّام النرويج والمجر وفرنسا، وكانت أخته زوجة للملك البولندي، فكل هذا يدلّ على أن روسيا في عهد ياروسلاف كانت تعتبر من أهمّ دول أوروبا. كان ملوك الغرب يطلبون التحالف مع أمير كييف الجبّار بفضل قدرة روسيا العسكرية وجيشها القوي، لكن ياروسلاف الذي أطلق عليه الشعب لقب **"الحكيم"** كان يتميّز بحكمة حقيقية وهي تكمن في محبّته للثقافة المسيحية وسعيه إلى متابعة ما قد بدأه والده.

تعميق الحياة المسيحية

كان الشغل الشاغل لياروسلاف ليس فقط نشر الإيمان المسيحي من الناحية الجغرافية، بل تعميق الحياة المسيحية بين شعبه. اشتهر ياروسلاف بنشاطه التثقيفي، وكان نفسه يحبّ القراءة ومحادثة العلماء. في عام ١٠٢٨ أسّس أوّل مدرسة كبيرة في نوفغورود حيث جمع ٣٠٠ من أولاد الكهنة. ظهرت في عهده القطعة النقدية الفضية التي كانت تحمل صورة الرب يسوع المسيح على وجه واحد وصورة القديس جاورجيوس شفيع الأمير ياروسلاف على وجه آخر. كما دعا الأمير أهل العلم وكلّفهم بترجمة المؤلفات الروحية من اليونانية ونسخها،

فأسّس أوّل مكتبة في روسيا تابعة لكنيسة آيا صوفيا في كييف. في ذلك الوقت قد نشأ جيل جديد بدأ الدراسة في عهد الأمير فلاديمير. كان من الصعب جداً تثقيف الملايين من الشعب (**يُعتبر أن عدد سكّان روسيا القديمة قبل الغزو المغولي كان يبلغ ٦ ملايين نسمة**) وخاصة باعتبار حدود روسيا الجغرافية، لكن الأمير ياروسلاف نجح من نواحٍ كثيرة. تشير الوثائق التاريخية إلى أن معظم سكّان المدن في عهده كانوا يعرفون القراءة والكتابة، بل ظهر في عصره الأدب الروسي الخاصّ.

يُعتبر أن عدد الكنائس في روسيا في عهد الأمير فلادمير بلغ عدة عشرات، وهذا رقم صغير جداً بالنسبة لمساحة الدولة. يكمن السبب الرئيسي لقلة الكنائس في تلك الفترة ليس في الصعوبات التقنية بل في عدم وجود كهنة مهيّئين للخدمة الكنسية والنشاط التبشيري. كان بعض الكهنة يأتون من بلغاريا، أمّا الكهنة الروم (البيزنطيون) فلم يعرفوا اللغة السلافية ولم يكونوا مهيّئين للتبشير في روسيا.

كان مطارنة كييف في تلك الفترة يأتون من بيزنطة وكانوا يتعاملون مع نخبة المجتمع في كييف بالدرجة الأولى.

أمّا الكهنة فكان لا بدّ من أن يتعاملوا مع الشعب بلغته وأن يفهموا روحه وأسلوب تفكيره. لذلك نشأت هناك مسألة تأهيل الكهنة الروس لإقامة الخدمة الكنسية ورعاية الشعب الروحية، **علماً بأنه لم يكن بعد في روسيا تقليد الإرشاد الروحي بسبب عدم وجود الأديرة الروسية.**

الكنائس

في عهد ياروسلاف ازداد عدد الكنائس بكثير وبلغ عددها في كييف وحدها عدّة مئات، علماً بأن عدد سكان كييف في العصر ما قبل الغزو المغولي كان يبلغ حوالي ١٠٠ ألف نسمة (وبالتالي، كانت لكل ٥٠- ١٠٠ شخص كنيسة واحدة). إذا كانت في كل كنيسة الإيقونات والكتب والأواني الكنسية وعلى الأقل كاهن مؤهّل واحد فمن الممكن تصوّر القفزة الثقافية والروحية التي قامت بها روسيا القديمة في عهد الأمير ياروسلاف. في عام ١٠٤٥ حضر ياروسلاف وزوجته إلى نوفغورود حيث كان يحكم ابنهما فلاديمير لوضع حجر أساس لكنيسة آيا صوفيا هناك.

كانت الكنائس المبنية في عهد ياروسلاف الحكيم ضخمة الحجم وذلك لإثارة الوعي الديني عند الروس وللتبشير

عن طريق فنّ العمارة. كانت تلك الكنائس تجسيماً للثقافة التي قبلتها روسيا كييف بعد أن كانت قد غرقت لمئات السنين في الجهل والوثنية. كان الفن الكنسي البديع من شأنه أن يؤثر على الناس كما حصل مع سفراء الأمير فلاديمير في كنيسة آيا صوفيا في القسطنطينية. من المعروف أنه بعد بناء كنيسة آيا صوفيا وغيرها من الكنائس في كييف وإنشاء البوابة الذهبية الشهيرة فيها أصبح المعاصرون لتلك الفترة يقارنون كييف بالقسطنطينية. أمّا الأميران فلاديمير وياروسلاف فصاروا يقارنونهما بداود وسليمان، فكما أسّس داود أورشليم وجهّز كل شيء لبناء الهيكل وشيّد سليمان الهيكل نفسه، هكذا في روسيا أسّس فلاديمير دولة مسيحية، أما ياروسلاف فأقام كنيسة آيا صوفيا أيْ حكمة الله التي ارتبطت بالصور من الكتاب المقدّس والتقليد الأرثوذكسي. نجد في المدوّنات التاريخية الروسية مديحاً لحكمة ياروسلاف، وبحسب القدماء حظى الأمير بلقب "**الحكيم**" لأنه بنى كنيستين مكرّستين للحكمة الإلهية (**في كييف ونوفغورود وهما أهمّ مدن الدولة في تلك الفترة**) تقليداً لكنيسة بيزنطة الرئيسية.

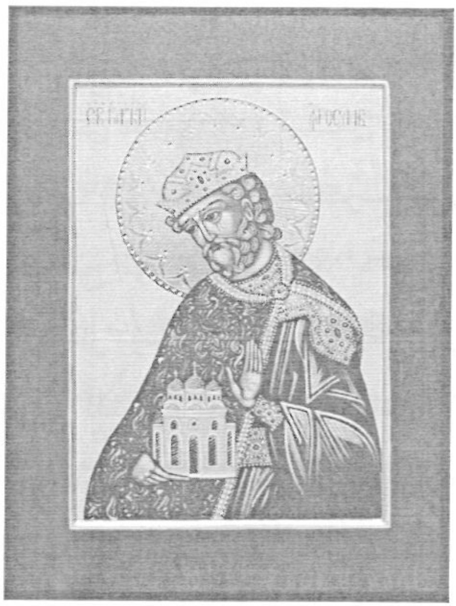
الأديرة

كان للأديرة شأن عظيم في تنوير الشعب الروسي الأرثوذكسي. ظهرت الرهبنة الروسية في عهد ياروسلاف الحكيم. بالرغم من وجود أديرة رومية في روسيا الكييفية في عهد الأمير فلاديمير، إلا أنّ حياة النسك ظهرت في عهد ياروسلاف، وذلك في دير مغاور كييف الشهير الذي هو مهد الرهبنة الروسية. من هنا انتشرت الرهبنة في روسيا كلها، وظهرت هنا مدرسة روحية أعطت لروسيا كثيراً من الأساقفة والمبشّرين خلال كل الفترة ما قبل الغزو المغولي. في عام ١٠٣٠ أسّس ياروسلاف دير القديس جاورجيوس في نوفغورود وأمر بالتعييد لشفيعه في كل روسيا بتاريخ ٢٦ نوفمبر ("يوم جاورجيوس").

"أخبار الأعوام الغابرة"

تقول المدوّنة التاريخية "أخبار الأعوام الغابرة" المنسوبة إلى القديس نسطور مدوّن التاريخ: "... وبدأ الإيمان المسيحي في عهده يثمر وينتشر وازداد عدد الرهبان وظهرت الأديرة. وكان ياروسلاف يحبّ النظم الكنسية ويحبّ الكهنة كثيراً وخاصّة الرهبان منهم، ويحبّ الكتب وهو يقرأها ليلا ونهاراً.

وجمع كتبة كثيرين فكانوا يترجمون من اليونانية إلى السلافية، وألّفوا كتباً كثيرة يتعلّم منها الناس المؤمنون ويتمتعون بالتعليم الإلهي. هناك من يحرث الأرض ومن يبذر البذار فيها ليحصد الآخرون ويأكلوا الطعام الذي لا ينضب – هكذا كان هو. لأن والده فلاديمير قد حرث الأرض وليّنها، أيْ نوّرها بالمعمودية، أما هذا فبذر كلمات الكتب في قلوب الناس المؤمنين ونحن نحصدها قابلين تعليم الكتب".



الأمير ياروسلاف الحكيم

إيلاريون أوّل مطران روسي

كانت الكنيسة الروسية في عهد الأمير ياروسلاف مهتمّة بالدرجة الأولى بتربية الشعب الأخلاقية وكانت تحارب نمط الحياة الوثني بحزم. كان همّها الأساسي هو تربية النظرة المسيحية إلى الأسرة. يقول القديس نسطور مدوّن التاريخ إن أجداده الوثنيين "**كانوا يعيشون مثل الوحوش**"، ومن ظواهر ذلك عادة اختطاف العرائس وغير ذلك من العادات الوثنية التي تمنعها الكنيسة منعاً باتاً. كانت الكنيسة تساهم في تقوية الأسرة وتقدّسها في سرّ الزواج وتعمل على تنوير جميع نواحي حياة الشعب. حوالي عام ١٠١٠ أسّس ياروسلاف **مدينة ياروسلافل** وبنى فيها أوّل كنيسة مكرّسة **للنبي إيليا** الذي هو معروف كمكافح الوثنية.

كما ساهم ازدهار روسيا الكييفية في عهد ياروسلاف في تطوير الوعي القومي للشعب. لكن الإحساس بالنمو السياسي والثقافي للدولة كان يناقض نظرة البيزنطيين المتعالية إلى روسيا على أنها محمية للإمبراطورية. بعد عدة خلافات بين التجار الروس والروم اليونانيين في القسطنطينية وفي آثوس اندلعت الحرب بين روسيا وبيزنطة. أعمى الروم الأسرى الروس

كما كانوا يفعلون برعايا الإمبراطورية المتمرّدين. لذلك وبالرغم من عقد الصلح مع الروم في عام ١٠٤٦ قرّر ياروسلاف أن يتخلّص من سيطرة القسطنطينية الكنسية. في عام ١٠٥١ بعد موت **المطران ثيوبيمبتوس** أقام مجمع الأساقفة الروس بموافقة من ياروسلاف **إيلاريون الروسي الأصل مطراناً لكييف دون أن يرفض تبعيتها لبطريرك القسطنطينية**. بهذه الخطوة أظهرت الكنيسة الروسية سعيها إلى الاستقلال الكنسي عن القسطنطينية. لكن البطريركية لم تعترف بهذا الأمر، وبعد موت ياروسلاف عام ١٠٥٤ صار **أفرام** اليوناني الأصل من القسطنطينية مطراناً لكييف.

يجدر بالذكر أن شخصية **إيلاريون أوّل مطران روسي الأصل** كانت متميّزة. وصفه القديس نسطور مدوّن التاريخ بأنه "**رجل صالح ومتعلم وصوّام**". كان إيلاريون قبل رسامته أسقفاً على كرسي كييف كاهناً في كنيسة الرسل في ضواحي المدينة، وهناك حفر لنفسه مغارة على ضفة نهر الدنيبر للاعتزال فيها للصلاة. عندما انتقل منها بعد رسامته الأسقفية **سكن في هذه المغارة في الفترة بين ١٠٥١- ١٠٥٤ الراهب الروسي أنطونيوس الذي جاء من آثوس**، وهذه كانت

نقطة البداية لـدير مغاور كـييف.

كمـا كـان إيلاريـون أوّل كـاتـب روحـي روسـي، وهـو صاحب "**الكلمة حول الناموس والنعمة**" الشهيرة التي تتضمّن "**المديح للامير فلاديمير**". من تأليفه أيضاً "**الاعتراف بالإيمان**" الذي كتبه بسبب رسامته أسقفاً. كان إيلاريون يسعى إلى التشديد على دور الأمير فلاديمير البارز في نشر المسيحية في روسيا، وفي نفس الوقت نجد في مؤلفه لأوّل مرّة الفكرة حول المهمّة الخاصة التي دُعي إليها الشعب الروسي. يذكر إيلاريون مثل الفعلة في الكرم ويقارن بهم الروس الذين قبلوا المعمودية في الوقت المتأخر ولكنهم سيجدون مكانهم قرب المسيح مثل الشعوب المسيحية الأخرى. إيلاريون هو مثال عجيب للشخصية المسيحية التي هي من ثمار معمودية روسيا التي لم يمضِ عليها إلا نصف قرن. كان إيلاريون إنساناً تربّى في الإيمان المسيحي وناسكاً حقيقياً تجسّدت فيه ثمار الرهبنة الأرثوذكسية. كما كان لاهوتياً يفهم جيداً قوانين الكنيسة وصاحب موهبة أدبية وخطابية. كان شخصية جبّارة بالنسبة لذلك العصر مثل تلك الكنائس الضخمة التي بناها ياروسلاف

وكرّسها المطران إيلاريون.

ولكن بعد موت ياروسلاف نجد اسم إيلاريون يختفى عن صفحات المدوّنة التاريخية. قد يرجع سبب ذلك إلى رغبة البيزنطيين في محو ذكرى هذه الفترة في تاريخ الكنيسة الروسية. لكن كما يعتقد الباحثون لم يكن الهدف من تعيين إيلاريون مطراناً على كرسي كييف بصفة مستقلة هو الاستقلال عن البطريركية، بل السعي إلى شبه استقلال، وبالدرجة الأولى اختيار مطران كييف في روسيا وليس في القسطنطينية. لم يكن في وسع الأمير ياروسلاف تثبيت هذا النظام للمستقبل، وبعد قليل صارت روسيا تنقسم إلى إمارات مستقلة، وفي هذه الظروف كان من الأفضل بالنسبة للأمراء الكثيرين المتحاربين أن يكون لهم مطران يوناني الأصل كونه شخصية محايدة ومحكّم في خلافاتهم.

اشتهر ياروسلاف أيضاً كواضع أوّل مجموعة قوانين في روسيا تحمل اسم "الحق الروسي" (**"Russkaya Pravda"**) (تم وضعها في الفترة ١٠١٩- ١٠٥٤) شملت قوانين العقوبات والوراثة والتجارة ووضعت أساساً للعلاقات الاجتماعية

والاقتصادية والقانونية للسلاف الشرقيين.

رقاد ياروسلاف

رقد ياروسلاف في ٢٠ فبراير ١٠٥٤ على ذراعيْ ابنه المحبوب فسيفولود وقبل موته أعطى لأبنائه الوصية التالية (بحسب "أخبار الأعوام الغابرة"): "**ها أنا أترك هذا العالم يا أبنائي، فلتكن بينكم محبّة لأنكم إخوة من نفس الأب ومن نفس الأمّ. فإذا عشتم في محبّة بينكم سيعيش الله فيكم ويُخضع أعداءكم لكم وستعيشون في سلام. أمّا إذا عشتم في كراهية وخصام وخلاف فستهلكون أنتم وتهلكون بذلك أرض آبائكم وأجدادكم الذين أحرزوها بجهاد كبير. لكن عيشوا في سلام وكل أخ فليسمع للآخر...**". قبل موته وزّع ياروسلاف الأراضي الروسية بين أبنائه الستة، وصار **إيزياسلاف أميراً لكييف.**

دُفن ياروسلاف في كاتدرائية آيا صوفيا في كييف في تابوت مرمري وزنه ٦ أطنان كان مخصصاً للقديس كليمنت بابا روما وكان الأمير فلاديمير قد جاء به من خيرسونس. لا يزال هذا التابوت موجوداً في الكاتدرائية. قد تمّ فتحه عدة

مرّات خلال القرن العشرين لإجراء البحوث العلمية، وفي عام ١٩٤٠ أنشأ **عالم الأنثروبولوجيا ميخائيل جيراسيموف** تمثالاً نصفياً للأمير ياروسلاف. ولكن بقاياه ضاعت في القرن العشرين، وبحسب رأي المؤرّخين يجب البحث عنها في الولايات المتحدة الأمريكية.

بدأ التكريم الشعبي للأمير ياروسلاف بعد موته، ولأوّل مرّة يرد ذكره كقدّيس عند آدم البريمني❖❖❖. لم يكن ياروسلاف الحكيم يُعتبر رسمياً من قدّيسي الكنيسة الأرثوذكسية، إلا أنه في ٩ مارس ٢٠٠٤ تمّ إدخال اسمه في التقويم الكنسي للكنيسة الأرثوذكسية الأوكرانية بمناسبة الذكرى ٩٥٠ لرقاده، وفي ٨ ديسمبر ٢٠٠٥ تمّ إقرار تاريخ ٢٠ فبراير/ ٥ مارس كتذكار الأمير الحسن العبادة ياروسلاف الحكيم، وذلك ببركة من البطريرك ألكسي الثاني.

❖❖❖ آدم البريمني – مؤرّخ من شمال ألمانيا عاش في القرن الحادي عشر. يتضمّن مؤلّفه التاريخي *Gesta Hammaburgensis ecclesiae pontificum* معلومات ثمينة حول تاريخ الشعوب السلافية.

بحسب التقليد يُعتبر ياروسلاف الحكيم شفيعاً لرجال السياسة والقضاة والمحامين ومعمّري الكنائس والعاملين في المكتبات والعلماء والأساتذة والطلبة.

يرجع تأسيس لافرا مغاور كييف (Киево- Печерская Лавра) إلى عهد الأمير ياروسلاف الحكيم ابن الأمير القدّيس فلاديمير عندما جاء إلى كييف عائداً من الجبل المقدّس الراهب الروسي **أنطونيوس** الذي كان قد باركه رئيس دير "**إسفيغمينو**" لتأسيس الحياة الرهبانيّة في وطنه قائلا: "**ارجع إلى روسيا ولتكن معها بركة الجبل المقدّس.**"

واختار القدّيس أنطونيوس إحدى المغائر التي كانت محفورة في كييف ليعيش فيها حياة الصلاة والصوم. في رأي معظم المؤرّخين كان هذا في عام ١٠٥١، وتُعتبر هذه السنة تاريخ تأسيس لافرا المغاور.

أصبح الناس يأتون إليه للبركة والإرشاد الروحي وأطلقوا عليه "**أنطونيوس الكبير**". واجتمع حوله ١٢ راهباً طلبوا البقاء

معه فحفروا في المغارة قلالي جديدة وربطوا بينها بأنفاق طويلة تحت الأرض وأنشؤوا كنيسة هناك. وبعد قليل قرّر القديس أنطونيوس الانتقال إلى مكان آخر لأنه كان يحبّ الوحدة والهدوء فأقام **الراهب برلعام** رئيساً على الدير في عام ١٠٥٧ وحفر مغارة أخرى في تلة مجاورة وضعت أساساً لمجموعة مغاور يُطلق عليها حالياً "**المغاور القريبة**". أما المكان الأوّل فمعروف باسم "**المغاور البعيدة**"، ويُقصد بهذه التسمية المسافة التي تفصل بين المغاور والكنيسة الرئيسية للدير التي تم بناؤها لاحقاً وهي **كنيسة رقاد والدة الإله.**

لم يقبل القديس أنطونيوس رئاسة الدير بسبب اتضاعه، وإنما بقي أباً ومرشداً روحياً للإخوة. في نفس الفترة جاء إلى كييف **القدّيس ثيودوسيوس** وكان في ذلك الوقت شاباً تقياً يطلب حياة الرهبنة وكان قد هرب من بيته ومن أمّه التي كانت تمنعه من الرهبنة بالتوسل وبالضرب على حد سواء. ودخل الرهبنة على يد القديس أنطونيوس وأصبح **مؤسساً**

لحيــاة الشـركة الرهبانية في روسـيا ، وبنـاء علـى قـراره تمّ إقـرار نظـام ديـر السـتوديون مـن القسـطنطينية لـدير المغـاور ليصبح فيمـا بعـد نظامـاً متّبعـاً في كـل الأديـرة الروسـية. وقـد وضعت حياة القديسين أنطونيوس وثيودوسيوس أساساً لنوعين مـن الحيـاة الرهبانيـة في روسـيا: التوحّـد في المغـاور والغابـات والبراري وحياة الشركة في الأديرة.

عنـدما ازداد عـدد الرهبـان إلى درجـة أنّ الـدير الأول تحـت الأرض لم يعد يتّسع لهم حـان الوقـت لإنشـاء ديـر فـوق الأرض. يُقدّر عـدد الرهبـان في عهـد القـديس ثيودوسـيوس بحـوالي مئـة راهب. وفي ستينات القـرن الحـادي عشـر أصبح الإخـوة ينتقلـون إلى الأرض المحيطـة بالمغــاور البعيــدة، أمــا المغــاور الأصـلية فأصبحت تُستخدم كمكـان للصلاة ولدفن الراقدين.

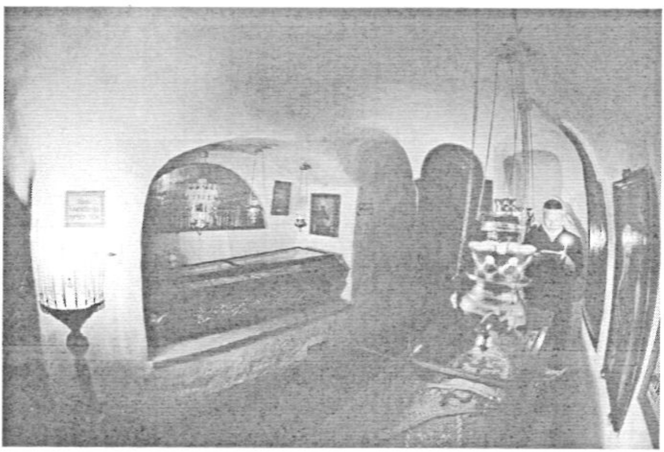
أوّل من دُفن في المغاور القريبة في عام ١٠٧٣ كـان القدّيس أنطونيـوس، وأمـا في المغـاور البعيـدة فالقـديس ثيودوسـيوس في عام ١٠٧٤. ولكننا لا نجد أجسادهما من بين رفات القديسـين

الموجـودة بالـدير. يقـول التقليـد إنّ مصـير جسـد القـديس أنطونيوس كـان عجيباً، فبعد انتقاله عن هذا العالم أراد إخوة الدير استخراج جسده ولكن كلما بدأوا يحفرون في مكـان دفنـه انـدلع عـامود النـار مـن تحـت الأرض وطـردهم، وإذا أصبحوا يحفـرون مـن طـرف آخـر تـدفق المـاء وغمـر المكـان. وهكذا بقي جسد القديس أنطونيوس تحت الأرض في مكـان لا يعرفه أحد بالضبط، لأنه كما كـان القديس المتوشح بـالله يهرب مـن مجـد العـالم أثنـاء حياتـه الأرضية هـكذا لم يُرد أن يحظى جسده بأي تكريم بعد انتقاله. ولا تزال آثار النـار والمـاء موجودة خلـف إيقونـة القـديس أنطونيـوس في مكـان الحـدث حتى اليوم.

أما القـديس ثيودوسيوس فمـن المعروف أنّـه دُفـن في قلايتـه وثمّ نُقل جسده غير القابل للفساد إلى كنيسـة الرقـاد في ١٠٩١ حيـث كـان يُحفـظ لفترة طويلـة. ولكـن الرهبـان خبّأوه تحـت الأرض أثناء هجوم المغول على روسيا في القـرن الثـالث عشـر،

ولا يزال مكان دفنه مجهولاً حتى اليوم.

في عهد الاتحاد السوفييتي تمت عدة محاولات لاكتشاف رفات مؤسّسيْ اللافرا، ولكن بما أنها كانت غير رسمية لا توجد وثائق تخبرنا بنتائجها. هناك تقليد شفهي معاصر يقول إنّ علماء الآثار لم يتمكنوا من حفر المكان المفترض لدفن القديس أنطونيوس بسبب ظهور شرار ناري منعهم من عملهم.



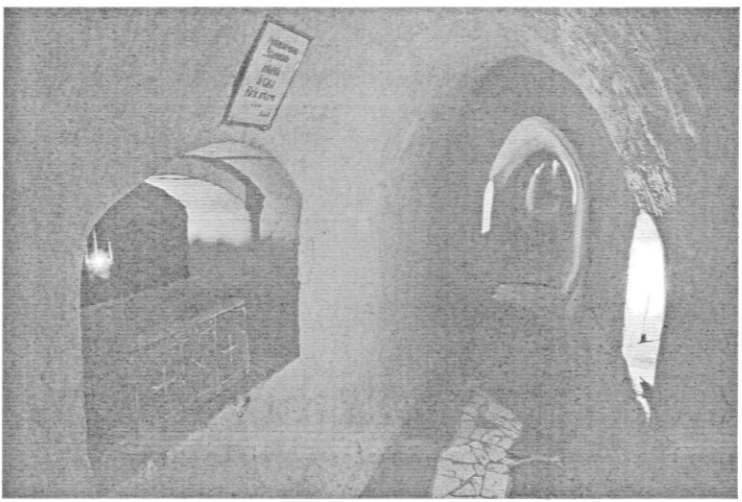
Киево-Печерская Лавра

لافرا مغاور كييف

مغاور لافرا اليوم هي عبارة عن مجموعة من المتاهات المحفورة تحت الأرض داخل التلال التي ترتفع قرب نهر الدنيبر، يتُراوح عمقها بين ٥ – ٢٠ متراً ويبلغ طولها الإجمالي ٨٠٠ متر. تتكوّن كل المجموعة من المغاور القريبة **(ومركزها التاريخي والروحي هو مكان دفن القدّيس أنطونيوس كما يحدّده التقليد)** والمغاور البعيدة **(ومركزها هو المكان الذي كانت فيه قلاية القديس ثيودوسيوس بحسب الخرائط القديمة)**، ولذلك تسمّى المغاور القريبة مغاور أنطونيوس، أمّا البعيدة فمغاور ثيودوسيوس .

كانت مغاور كييف التي تحتوي على أجساد القديسين الكثيرين غير القابلة للفساد سبباً في شهرة هذا المكان كأحد أهمّ المراكز الروحية لروسيا المقدّسة على مدى قرون، وكان الكثير من الناس المؤمنين الأتقياء يعتبرون من واجبهم زيارة كييف ولو مرة واحدة في حياتهم لأخذ بركة قدّيسيها ، وكان الكثيرون يأتون إليها وخاصة في الأعياد

الكبيرة من كل أنحاء روسيا ماشيين على الأقدام. ومن بين هؤلاء الزائرين الأتقياء كان **القديس سيرافيم ساروفسكي** الذي أخذ البركة للرهبنة في كييف، وكانت كييف مكاناً وحيداً زاره للحجّ في حياته.



Киево-Печерская Лавра

لافرا مغاور كييف

يبلغ العدد الإجمالي للقدّيسين الذين تُحفظ رفاتهم حالياً في مغاور لافرا كييف أكثر من ١٢٠ ويُعتبر هذا المكان أكبر مجموعة من رفات القدّيسين في العالم. تحتوي المغاور القريبة على ٦٠ جسداً، أما المغاور البعيدة فعلى ٤٥ جسداً إضافة إلى ٣٠ جمجمة مفيّضة الطيب لقدّيسين أسماؤهم مجهولة. من قدّيسي المغاور الأكثر تكريماً بين الشعب (إلى جانب أنطونيوس وثيودوسيوس) يمكن ذكر القديس **أغابيتوس** الطبيب الشافي والقديس **إيليا** من موروم والقدّيس **مرقس** "حفار القبور" والقديس **برلعام** أول رئيس للدير والقدّيس **نسطور** مدوّن التاريخ ويوحنا الكثير الآلام والقدّيس **أليبيوس** كاتب الأيقونات.

هناك تقليد خاصّ بلافرا المغاور وهو تغيير حلّة أجساد القدّيسين الذي يتمّ أربع مرّات في السنة. قبيل الصوم الكبير يتم إلباسها الملابس السوداء، وفي نهاية الصوم قبيل عيد الفصح يُلبسونها الحلل الحمراء. أثناء فترة صوم الرسل عندما

يتمّ التنظيف العام للدير يخرج الرهبان بملابس القديسين لتجفيفها في الهواء الطلق لأن الملابس قابلة للفساد بخلاف أجساد أصحابها. لا يمكن للزوّار رؤية هذه العملية إذ أن المغاور تُغلق للزيارة في هذا اليوم. في الساعة الخامسة صباحاً يبدأ الإخوة بالطقس، حيث يرتّلون في البداية خدمة المديح للقديسين وبعد ذلك يُخرجون الأجساد بحذر من التوابيت ويأتون بها إلى مكان مخصّص حيث يتمّ تغيير حلّتها. وخلال كل هذا اليوم لا يتوقف الشماس عن قراءة الصلوات عند رفات القدّيسين. وبعد صلاة المساء يجتمع الرهبان لإلباس القديسين حللهم الجديدة بحسب رتب القداسة الخاصة بكل واحد منهم. وفي ساعة متأخرة من الليل يتم إعادة الأجساد إلى المغاور. يتقدّم الموكب الشماس الذي يحمل شمعة ويتبعه الرهبان وهم يحملون أجساد القديسين بخوف وورع. وفي الصباح تُفتح المغاور للزيارة من جديد.

تمّ إعلان قداسة جميع قدّيسي المغاور من قبل **ميتروبوليت كييف بطرس موهيلا** في عام ١٦٤٣. وبطلب منه ألّف وكيل رئيس الأساقفة **ميليتيوس** من كنيسة القسطنطينية خدمة

"للآباء المتوشحين بالله لمغاور كييف وجميع القدّيسين الذين نوّروا روسيا الصغرى"* نظراً لأن اللافرا كانت تتبع لبطريرك القسطنطينية في تلك الفترة.

خصّصت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية عدّة أعياد لتكريم قدّيسي مغاور كييف **(إضافة إلى عيد كل منهم على حدة)** وهي كالتالي بحسب التقويم اليولياني:

- مجمع جميع قدّيسي مغاور كييف (في الأحد الثاني من الصوم الكبير)؛
- مجمع قدّيسي المغاور القريبة (في ٢٨ سبتمبر)؛
- مجمع قدّيسي المغاور البعيدة (في ٢٨ أغسطس)؛
- عيد القدّيسيْن أنطونيوس وثيودوسيوس (في ١٥ سبتمبر).

---

* كان اسم "روسيا الصغرى" يطلق على جزء من أوكرانيا الحالية (محافظاتها الشمالية والشرقية والمركزية) ابتداء من القرون الوسطى حتى سنة ١٩١٧.

+ استمرّ حكم ياروسلاف ابن الأمير القدّيس فلاديمير ٣٧ سنة ودخل الأمير في التاريخ كبنّاء عظيم لروسيا الكييفية، واشتهر بتشييد الكنائس وتدبير الحياة في المدن.

+ كان الشغل الشاغل لياروسلاف ليس فقط نشر الإيمان المسيحي من الناحية الجغرافية، بل تعميق الحياة المسيحية بين شعبه.

+ يرجع تأسيس لافرا مغاور كييف (Киево-Печерская Лавра) إلى عهد الأمير ياروسلافْ الحكيم. عندما جاء إلى كييف عائداً من الجبل المقدّس الراهب الروسي أنطونيوس الذي كان قد باركه رئيس دير "إسفيغمينو" لتأسيس الحياة الرهبانيّة في وطنه قائلا: "ارجع إلى روسيا ولتكن معها بركة الجبل المقدّس".